تفصيلا واجمالا فبدا بذكر الزرع وهو الحب الذي يتقتات به كالحنطة والشعير وما اشبه ذلك لانه به قوام بدن
الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة وثلث بذكر النخل لان ثمرها غذا وفاكهة
وختم بذكر الاعناب لانه شبه النخل في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجمالا لينبه
بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمه على عباده ثم قال تعالى ان في ذلك يعني الذي ذكر من انواع الثمار لاية
يعني علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا لقوم يتفكرون يعني فيما ذكر من دلايل قدرته ووحدانيته
قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم تقدم تفسيره في سورة الاعراف مسخرات يعني مذللات
مقهورات تحت قهره وارادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي الفعالة
المتصرفة في العالم السفلي فاخبر تعالى ان هذه النجوم مسخرات في نفسها مذللات بامره يعني لامر ربها مقهورات
تحت قهره يصرفها كيف يشاء ويختار وانها ليس لها تصريف في نفسها فضلا عن غيرها ولما خلق الله عز وجل هذه
النجوم وجعلها مسخرة لمنافع عباده ختم هذه الاية بقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يعني
ان كل من كان له عقل سليم صحيح علم ان الله تعالى هو الفعال المختار فان جميع الخلق تحت قهره وقدرته وتسخيره
لما اراد منهم وما ذرا لكم في الارض يعني وما خلق لكم في الارض وسخرها لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار
مختلفا الوانه يعني في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف الوانها في المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه
بعضها بعضا من كل الوجوه وفيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وكذلك ختم هذه الاية بقوله ان في ذلك لاية
لقوم يذكرون يعني فيعتبرون بذلك قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لما ذكر الله تعالى الدلايل الدالة على
قدرته ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوانات والنبات
وسخر الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك واثار قدرته وعجايب صنعته وذكر انعامه في ذلك على عباده ذكر بعد
ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة عليهم من الله تعالى ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن
الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه او بالغوص فيه او الصيد منه فذكر هذه الثلاثة اقسام من انواع
الانتفاع به فقال تعالى وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا فبدا بذكر الاكل لانه اعظم المقصود لانه
به قوام البدن وفي ذكر الطري مزيد فايدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله مالحا
عرف به من قدرة الله ما يعرف بالطري لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطري الذي لحمه في غاية العذوبة
علم انه انما حدث بخلق الله وقدرته لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضد من الضد
المنفعة الثانية قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها يعني اللولو والمرجان كما قال يخرج
منهما اللولو والمرجان يلبسه نساؤهم لان زينة النسا بالحلي وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينتهم
المنفعة الثالثة قوله تعالى وترى الفلك يعني السفن مواخر فيه يعني جواري قال قتادة مقبلة ومدبرة
وذلك ترى ان سفينتين احدهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة واصل المخر في اللغة الشق يقال
مخرت السفينة مخرا اذا شقت الما بجوجوها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعني اذا جرت تسمع لها صوتا
قال ابو عبيدة يعني صوايح والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعني مواقر مملوة
متاعا ولتبتغوا من فضله يعني الارباح بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون يعني انعام الله عليكم اذا رايتم
نعم الله فيما سخر لكم والقى في الارض رواسي يعني جبالا ثابتة ان تميد بكم يعني لئلا تميل وتضطرب بكم
والميد هو اضطراب الشي العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله الارض جعلت تمور وتتحرك فقالت
الملايكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحوا وقد ارسيت بالجبال فلم تدر الملايكة مم خلقت الجبال

وانهارا

وانهارا يعني وجعل فيها انهارا لان في القى معنى الجعل فقوله تعالى وانهارا معطوف على والقى ولما ذكر الجبال
ذكر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار واصولها تكون من الجبال وسبلا يعني وجعل فيها طرقا مختلفة
تسلكونها في اسفاركم والتردد في حوايجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان لعلكم تهتدون يعني بتلك السبل
الى ما تريدون فلا تضلون وعلامات يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في اسفاركم قال بعضهم تم
الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدا وبالنجم هم يهتدون وقال محمد بن كعب والكلبي اراد بالعلامات
الجبال فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد اراد بالنجوم منها ما يكون علامات ومنها
ما يهتدى به وقال السدي اراد بالنجوم الثريا وبنات النعش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها الى الطريق
والقبلة قال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة اشيا لتكون زينة للسما وعلامة للطرق ورجوما للشيا طين
فمن قال غير هذه فقد تكلف ما لا علم له به قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق لما خلق الله تعالى من عجايب
قدرته وعجايب صنعه وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشيا المخلوقة
المذكورة في الايات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعها
على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيا البتة
لانها جمادات لا تقدر على شي فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة
وهو الله خالق هذه الاشيا كلها ولهذا المعنى ختم هذه الاية بقوله افلا تذكرون يعني ان هذا القدر
ظاهر غير خاف على احد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر
ممن ذكر بقي في الاية سوالان الاول قوله كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي جماد لا تعقل فكيف يعبر عنها
بلفظ من وهي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام الهة وعبدوها اجريت مجرى
من يعقل في زعمهم الا ترى الى قوله بعد هذه والذين تدعون من دونه لا يخلقون شيا فخاطبهم الله على قدر
زعمهم وعقولهم السوال الثاني قوله افمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام
حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فلم يكن على سبيل الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشيا العظيمة واعطى
هذه النعم الجزيلة يستوي بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل
ترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق الاشيا هذه البتة والله تعالى اعلم قوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق الله على العبد من صحة البدن وعافية الجسم واعطاه
النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشيا وبطش اليدين وسعي الرجلين الى غير ذلك مما انعم
الله به في نفسه وفيما انعم الله عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من امر الدين والدنيا حتى لو رام احد معرفة
ادنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها فالجميع الخلق
فذلك قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك واتعبتم نفوسكم فلا تقدروا عليه
ان الله لغفور رحيم يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمه كما يجب عليكم رحيم بكم حيث وسع عليكم النعم ولم
يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي والله يعلم ما تسرون وما تعلنون يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا
يسرون اشيا وهو ما كانوا يمكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من اذاه
فاخبرهم الله تعالى انه عالم بكل احوالهم سرها وعلانيتها لا يخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل
ان الله تعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها في الاية المتقدمة وذكر في هذه الاية انما الاله الذي يستحق
العبادة يجب ان يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)